Abstract

Harmony in the poetry of Khalid Karaki

by:

Asma Mahmoud Mohamed Al Nasrat

Prof. Issa Qweider Al-Abbadi

Intertextublity in Arabic literature appeared as a literary technique; which based upon it a lot of writers and poets, and it has numerous in its own concepts, Arabic studies research deferred in terms with providing idiomatic meaning; however, the theory has imposed itself on the literary and different poetical text, the poets appointed it in a different levels and degrees, depending on the text need on the linguistics and semantic level.

Khalid al-karaki is a distinction one in the Jordanian poetic scene, and his poetical text represented his attitude about national affiliations of arab, and he is one of the poets who worked on intersexuality and deal with it, he appointed the absent text according to his poetical vision, and his texts touch the sense of the recipients , and it realized to him what he expected and un expected.

It represents in the first poetical issuance which represented in a divan (diwan) which took the title (the jasmine Denominator) "makam Al-jasmine" and it's the first divan which peered-karaki-from it on the reader as a poet to pay attention to him; after that, he goes under study and criticism the (jasmine

denominator) reflected the poet vision varied on three axes: conzona (lyric), patriotism and nationalism. The poet literary and cultural memory was demonated the poetic text in this divan and then he followed it by the divan (rajeo Al-saheel) to his last issuance (Abdullah) all of his poetry earned a wide investment in heritage and predict consciously about his recruitment, the poet full he formed the interaction between the present text and the absent text in Al-karaki's poems.

"The extended map" and it includes the several appearance: investment the heritage religious, the literary heritage, history, legend, and heritage folk, and these text represented the poetic experience heritage folk, and these text represented the poetic experience af Khalid Al-karaki.

المقدمة

يعد التناص واحداً من أبرز القضايا الأدبية والنقدية الجدلية التي أسالت حبراً كثيراً في الدراسات النقدية المعاصرة ، ويمكن النظر إليها على أنها إحدى الظواهر الأدبية ذات الطابع الإشكالي بحسبانها شاردةً من شوارد الأدب والنقد التي لا تنتمي في أصلها إلى أيّ من المدارس والمذاهب النقدية والأدبية الحديثة ، على الرغم من خضوعها إلى المبادئ المختلفة لهذه المدارس ، وهذا الأمر تحديداً ما جعل من الصعب على الدارس والباحث الركون إلى تعريف جامع ومانع لظاهرة التناص .

والتناص أحد العلائق النّصية المكونة للنّص الأدبي ، وهو نتاج تلاقح بين النّصوص الأدبية الماضية أو المعاصرة ، مخزونة في ذاكرة المبدع يعيد تشكيلها داخل النّص الإبداعي الجديد ، تكون مهمة الدارس في هذا الاتجاه إعادة قراءة النّص الجديد ، وتحديد المقتضيات التي تم على أساسها حضور المكوّن النّصي السابق داخل النّص ، من ثم إعادة صياغة العلاقة بينهما .

إن القصيدة الأردنية المعاصرة ، وعلى اختلاف معماريتها ، قد حفلت بالدرس التناصي فكان له حضورٌ بارزٌ فيها ، فقد عمد الشاعر الأردني إلى إفراغ ذاكرته الأدبية والثقافية داخل نصوصه الشعرية ، وصاغ منها نصوصاً اتخذت قراءات مستجدة ومتعددة نظراً لاتساع الهامش القرائي في ظل العهد الجديد (التناص)، كما يمكن القول إنه كان لانفتاح الخطاب الشعري الأردني على روافد الشعر المختلفة (الدين، والتاريخ، والأدب والأسطورة والموروث الشعبي في عمومه) بالغ الأثر في تعميق ظاهرة التناص، ومن هنا توجهتُ لقراءة هذه الظاهرة وأشكالها والمحاور التي وظفت فيها في نتاج واحدٍ من رواد الشعر الأردني المعاصر البارزين في الساحة الثقافية الأردنية خالد الكركي ، في دراستي الموسومة بـ " التناص في شعر خالد الكركي " ، حيث اتخذ البحث من النصوص الشعريّة للشاعر خالد الكركي أنموذجاً لتطبيق الدراسة عليه وفقاً للأسباب الآتية :

1- إن شعر خالد الكركي يعد نسيجاً من النصوص المتداخلة مع بعضها البعض السابقة أو المتزامنة، منفتحاً على حقول دلاليةٍ خارجيةٍ تحقق للنّص مرجعيات نّصية ماضية أو حاضرة، وذلك من خلال توظيفه للسياقات التراثية المختلفة (الدينية ، والأدبية ، والتاريخية والأسطورة

والموروث الشعبي) في محاور نّصية يتبناها الشاعر مدفوعاً بنزعاته الوطنية والقومية ، إذ حرضت هذه الموروثات الشاعر على اللجوء إلى أبنيةٍ شعريةٍ ترتبطُ ارتباطاً وثيقاً بالتراث ، الأمر الذي دفعني إلى استخدام الدرس التناصي للكشف عن هذه العلاقات المضمرة أو الظاهرة داخل نصوصه ، والكشف عن الوظيفة التفاعلية بينها .

2- ومن بين هذه الأسباب كذلك أن شعر خالد الكركي يأتي استجابة لرغبة الدارس في إيجاد شعريةٍ أردنية ذات قيمة فنية وإبداعية عالية قادرة على تمثيل الحياة الثقافية الأردنية ، على نحوٍ يكشف عن مستوى التجربة الشعرية الأردنية ، ويرصد ملامح تقدم الحركة الأدبية والفكرية الوطنية .

وقد وقع اختياري على فن الشعر ، لأن القصيدة الشعرية في مجملها تظاهرة إنسانية، تختزل فيها جميع المضامين الإنسانية والمجتمعية ، وتصورها ، وتعلن عنها ، فضلاً عن القيمة الجمالية والفنية العميقة لهذا الفن، فتبرز هذه الأسباب جميعها كمحفز للقارئ لاستنباط هذه المظاهر من نص القصيدة.

ومن هنا تكونت لدي عدة تساؤلات بخصوص التناص وتناصات خالد الكركي على وجه الخصوص في مقدمتها :

1. أين يتموضع التناص في قصيدة (الكركي) ؟
2. وما هي الألوان التناصية التي اتكأ عليها الكركي ؟
3. وكيف مارس الكركي الفعل التناصي ؟
4. وهل حققت قصيدة (الكركي) مقصديتها بواسطة التناص ، وبالتالي استطاع توليد المعني من جديد؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة تسعى هذه الدراسة إلى قراءة النتاج الشعري للشاعر خالد الكركي ، قراءة نقدية في ظل مصطلح التناص .

ولدراسة هذا الموضوع اتخذ البحث المنهج الوصفي للوقوف على نظرية التناص ، وتعقب مصادر النصوص الجديدة ، فيما يأتي المنهج التحليلي لتفكيك شفرات النّص الحاضر ، واكتشاف وظيفة النّص الغائب في النّص الحاضر ، ومستويات التداخل النّصي في النّصوص المقروءة ،والأبعاد الدلالية المحققة للنّص ، وقد اعتمد على أدوات إجرائية تلبية لذلك وهي : مقاربة النّصوص ،واستنتاج نقاط الالتقاء والاختلاف والموازة فيها ، وقد اقتضت طبيعة البحث الاتكاء على خطة تشتمل على خمسة فصول وخاتمة لهذه الدراسة .

أما الفصل الأول فقد جاء مقدمة في نظرية التناص سبقه مدخل في مصطلح النّص حيث عرض لمفهوم النّص وآراء النقاد عرباً وغرباً حوله ، ثم تطرقت إلى مفهوم التناص والإرهاصات التاريخية التي مهدت لظهور المصطلح ، كما عرفت فيه التناص في الدرس العربي القديم والتناص عند الثقافة العربية المعاصرة ، ومن ثم التناص في الثقافة الغربية تضمن ذلك جملة من آراء النقاد والأدباء المهتمين بهذه الظاهرة .

أما الفصل الثاني فجاء في التناص الديني في شعر خالد الكركي وقد حاولت فيه البحث عن مصادر التناص الديني التي جاءت على النحو التالي : القصص القرآني ، واستحضار الرموز التراثية الدينية وإشارات دينية إسلامية أو من أديان مختلفة ، ومحاكاة الأسلوب الفني للقرآن الكريم، ومن ثم البحث في الأنساق الروحية التي أفضت لهذه التناصات في تجربة الشاعر .

أما الفصل الثالث فقد جاء في التناص الأدبي في شعر خالد الكركي وقد تناولت فيه التعالق الشعري بين التجربة الشعرية للكركي وكوكبة أخرى من الشعراء العرب القدماء أو المعاصرين و رصد مظاهر هذا التعالق من خلال ثلاثة سياقات هي : الموروث الشعري العربي ، والموروث القصصي، والتناص مع الشعر العربي الحديث .

أما الفصل الرابع فتناولتُ فيه التناص التاريخي في شعر خالد الكركي وقد تتبعت فيه المصادر التراثية التاريخية التي وظفها الشاعر في نصوصه، وأهم هذه المصادر: الوقائع التاريخية ، واستحضار الشخصيات التراثية التاريخية ، والموروث المكاني التاريخي .

أما الفصل الخامس فجاء في التناص مع الأسطورة والموروث الشعبي الأردني في شعر خالد الكركي، وقد قدمت فيه لجملة من الأساطير التي اتكأ عليها النّص (الكركي)، والسياقات التي وظفت فيها، أما التناص مع الموروث الشعبي الأردني فقد أبرزت فيه صور التعبير الشعري التي تعالقت مع المادة التراثية الشعبية، والتي اشتملت على الجوانب الآتية : الشعر الشعبي، واللغة الوسطى (العاميّة)، والحكاية الشعبية .

وقد انتهت هذه الدراسة بخاتمة حوت بعض الملاحظات والنتائج التي أفضى إليها البحث بعد تقصي الظاهرة نظرياً وإجرائياً، ولا أدعي أن دراستي هذه هي الأولى في مجال الدراسات التناصية، فقد كان هناك دراسات عديدة سبقت لهذا المضمار،من أهمها: محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ودراسة محمد عزام : النّص الغائب : تجليات التناص في الشعر

العربي ، ودراسة مصطفى السعدني: التناص الشعري قراءة أخرى لقضية السرقات، والتناص في ديوان (مقام الياسمين) لخالد الكركي: إبراهيم جوخان ... وغيرها .

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها :

1- دواوين الشاعر خالد الكركي .
2- دواوين ومؤلفات عربية قديمة مثل : ديوان امرئ القيس ، وديوان المتنبي، وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ، وغيرها .
3- مراجع عربية حديثة مثل : تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص): محمد مفتاح والمرايا المحدبة : عبد العزيز حمودة ، والخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التفكيكية: عبدالله الغذامي، وغيرها.
4- بحوث تناولت موضوع التناص مستقاة من مجلات ودوريات عربية أو أجنبية .
5- بعض المراجع الأجنبية المترجمة إلى اللغة العربية ذات الاتصال بموضوع التناص .

وقد واجهتني بعض الصعوبات التي اعترضت طريق هذه الدراسة أذكر منها :

1- تعدد المناهج والمدارس التي تناولت موضوع التناص، مما جعل من الصعوبة بمكان السيطرة على المفهوم .
2- قلة الدراسات التي تناولت شعر خالد الكركي على وجه التحديد .

وعليه فإن دراستي هذه تأتي كجهدٍ متواضع في دراسة ظاهرة التناص، وإكمالاً لجهودٍ سابقة درست المنجز الشعري للشاعر خالد الكركي.

الفصل الأول

مدخل الدراسة

- **مصطلح النّص**
  - **عند الدارسين العرب**
  - **عند الدارسين الغرب**
- **نظرية التناص :**
  - **التناص في الثقافة العربية**
  - **التناص في الثقافة الغربية**

الفصل الأول

مدخل الدراسة

مصطلح النص :

إن النّص " لا ينشأ في فراغ , ولا يوجد في فراغ , ولا يستمر في فراغ "[1], بل إنه " ينشأ عن اللغة "[2] حيث تشكل كل متتالية من الجمل نصاً كما أشار إلى ذلك هاليداي وحسن شريطة أن يكون بين هذه الجمل علاقة[3], والنّص في اللغة المعاصرة "له بداية وله نهاية ،وهذه الجمل المتراكمة تظهر ما خفي وتعينه"[4] إذ ينشأ النّص حسياً" وذلك بالارتكاز على عنصري الاختيار والتأليف ".[5]

لقد شكل النّص ميدان بحث واسع في الثقافة العربية , ونال قسطا لا بأس به من الدراسة حيث أشارت إليه الكتب والمصنفات التي عنيت بالنّص الأدبي .

فقد جاء في معاجم المصطلحات الحديثة عدة تعريفات مختلفة متعلقة بالنّص, يمكن إجمالها على النحو الآتي :

يستهدف تعريف النّص إنكاراً لمفهوم العمل المكتوب, (كحقيقة تعبيرية), وهو يعمل على (اللاتعبيرية الردكالية) , (اللعب متعدد الخطوط لكتابة (النّصية)) .

- ويعرف (دريدا) النّص كرقم بدون حقيقة , أو كنظام أرقام, لا تهيمن على القيم الحقيقة .
- كما أن جوليا كريستيفا تقترح تعريفاً (لظاهرة النّص) في تعارض مع (توليد النّص) للإشارة في النّص لأدبيته ، ولا تقرأ ظاهرة النّص دون إلمام بمكوناته التالية :
  أ- المقولات اللسانية .

---

(1) حمودة, عبد العزيز, المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك, المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب, الكويت , ط 1 , 1990, ص 205 .
(2) جيرو, بيير, الأسلوبية , ترجمة منذر عياش , مركز الإنماء الحضاري, ط 2, ص 127.
(3) الخطابي, محمد, لسانيات النّص, المركز الثقافي , ط1 , ص 13.
(4) مفتاح, محمد, التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية, المركز الثقافي العربي, الدار البيضاء , ط 1, 1996, ص 34.
(5) الغذامي, عبد الله, الخطيئة والتكفير من البنيوية الى التشريحية, الهيئة العامة للكتاب, ط4, 1998, ص 25 .

ب- طوبلوجية الفعل الدال ، حيث تصبح الدلالة هذا التوليد .

- (النّص المحدد عند جماعة (نتل كيل)): قوة حية نظرية شكليةٌ للغات .
- التنصيص : طريقة لتصبح بها الكتابات نصاً.[6]

ويستخلص تعريف النص من الميثية التمثيلية, إذ لا يتم التفكير فيه إلا من حيث أدبيته الحقيقية .

النّص عند الدارسين العرب:

أما في الدرس العربي المعاصر فقد أهتم الدارسون والنقاد بتعريف النّص، ووضع الحدود الجامعة لهذا المفهوم, على أن للنّص، كما يرى محمد مفتاح ،تعريفات متعددة، تعكس توجهات معرفية ونظرية للمناهج المختلفة, فهناك تعريف نفساني, ودلائلي, وتعريف بنيوي، وتعريف خاص باتجاه تحليل الخطاب.[7]

على أن محمد عزام يرى أنه ليس هنالك من تعريف جامع للنّص فهناك تعريف للنّص الأدبي بقدر ما هنالك من أدباء, ذلك لأن كل أديب له تعريفه الخاص به حتى داخل المدرسة الواحدة ، بل أن الأديب الواحد قد يتغير تعريفه للنّص بحسب المرحلة الأدبية التي يمر بها كما أنه يختلف من منهج نقدي إلى آخر.[8]

أما عبد الله الغذامي فيجد النّص " وجود عائم فمبدعه يطلقه في فضاء اللغة, سابحاً فيها إلى أن يتناوله القارئ ويأخذ في تقرير حقيقته ".[9]

([6]) علوش، سعيد، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1985، ص213.

([7]) مفتاح, محمد, تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص, المركز الثقافي العربي, الدار البيضاء, ط 3 , 1992 , ص 119 .

([8]) عزام , محمد , النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي, اتحاد كتاب العرب, دمشق, ط1, 2001 , ص 14- 15 .

([9]) الغذامي ، الخطيئة والتكفير , ص 28 .

النص عند الدارسين الغرب :

لا شك أن مفهوم النّص يعد إشكالاً كبيراً في معظم الدراسات النقدية الغربية, نظراً إلى أن المناهج والمدارس الأدبية والنقدية المختلفة قد اشتغلت على مفهوم النّص كثيراً, وأخذت كل واحدة منها بطرف منه لتخضعه إلى نظرياتها وتوجهاتها, كما حظي المفهوم عند بعضهم باصطلاحات أخرى .

النّص (Text) في اللغات الأجنبية مشتق استعاري في اللاتينية للفعل (Textere) والذي يعني : ينسج ويحوك, أما في القاموس الفرنسي (Robert) فالنص مجموعة من كلمات وجمل تشكل مكتوباً أو منطوقاً, وفي قاموس (larusse) الفرنسي فإن النّص مجمل المصطلحات الخاصة تقرأ عن كتاب وهو بعكس التعليقات .[10]

ويعرفه العالم اللساني (هيلمسليف) بأنه الملفوظ اللغوي سواء كان محكياً أو مكتوباً.[11]

أما تودروف فيعرف النّص على أنه إنتاج لغوي منغلق على ذاته, ويكون مستقلاً بدلالته ويكون جملةً أو كتاباً بأكمله.[12]

أما كاتبة والباحثة (جوليا كريستيفا) المعنون بـ (أبحاث لأجل التحليل الدلائلي) الصادر عام 1969 والذي عرفت الباحثة فيه النّص بأربع خصائص وهي: الإنتاجية, والاختراق اللغوي, والتداخل النّصي, والموضوع المتحرك, وعليه فإن النّص ينفصل عن اللغة التواصلية التي يعقدها النحو ومن ثم, يخترق واجهة العالم, والأيديولوجيا والسياسة, كالخطابات ويقدم نفسه لمواجهتها وتفتيتها وإعادة كتابتها .[13]

([10]) عزام ، النّص الغائب , ص 13- 14 .
([11]) نفسه ، ص 14 .
([12]) نفسه ، الصفحة نفسها
([13]) بينيس, محمد, الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها, ط2، دار توبيقال للنشر, الدار البيضاء, ج1, 2001 , ص 63 .

وبالرغم من تعريف كريستيفا النّص بأربع خصائص يبدو أن لوتمان محق عندما يقول: "يصعب إعطاء تعريف لتصور النّص " على أن التعريف الذي يعطيه يبدو أقرب من غيره وهو أن النّص يمتاز بثلاثة عناصر, وهي: التعبير, وتعيين الحدود, والخصيصة الثقافية. [14]

أما فان ديك في كتابه (بعض مظاهر قواعد النّص) عام 1972 وكتابه (النّص والسياق) عام 1977 , فيرى أن النّص نتاج لعملية وفعل إنتاج من جهة, وأساس لعمليات وأفعال واستعمال في داخل نظام التواصل والتفاعل من جهة أخرى, على أن هذه العمليات التواصلية والأدبية تقع في عدة (سياقات) معرفية, وتداولية, وسوسيو- ثقافية, وتاريخية, يتحدد بموجبها الممارسات النّصية ويتحدد بواسطتها وهي (تتمفصل) بحسب الجماعات المشاركة وأدوارهم وقواعد الاستراتيجيات التي تقوم بتنظيم ممارساتهم النّصية . [15]

على أما لورن بارت: فيعرف النّص بقوله: "إن النّص عندنا كلام يحيل على لغة, ورسالة تحيل نسق, وإنجاز يحيل على كفاية " وجميع هذه الألفاظ من ألفاظ اللسانيين. [16]

كما عرف لورن بارت نظرية النّص بأنه" علم صناعة نسيج العنكبوت لأن Hypho تعني نسيج العنكبوت "[17], وفي مقالته (من العمل إلى النّص) عام 1971 قدم بارت نظريته المركزة على طبيعة النّص التي يمكن تلخيصها فيما يلي :

- إن النّص يتمتع بوجود منهجي وكإنتاج متقاطع يخترق عملاً أو عدة أعمال أدبية, على أن العمل الأدبي يحمل باليد ، أما النّص فتحمله اللغة .

- النّص قوة متحولة تتجاوز المراتب المتعارف عليها والأجناس إذ تصبح واقعاً نقيضاً للحدود والقواعد والمفهوم والمعقول .

- النّص يقبل التأجيل الدائم, واختلالات الدلالات , إذ إنه لا نهائي لا يحيل نفسه إلى فكرة معصومة بل إلى لعبة متنوعة .

([14]) بينيس, محمد, الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته, ص 62 - 63 .
([15]) عزام ، النص الغائب , ص16 .
([16]) بارت, لورن, التحليل النّصي تطبيقات على نصوص من التوراة والإنجيل والقصة القصيرة, ط1، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي , دار التكوين , المغرب , 2009 , ص27 .
([17]) بارت , لورن , لذة النّص , ترجمة منذر عياشي , دار لوسوي , باريس , ط1 , 1992 , ص 159 .

- النّص مفتوح : القارئ يشارك في عمليات النّص فهو ليس مجرد مستهلك له وذلك بممارسة فعل القراءة .

- لا سلطة للمؤلف على النّص فهو مجرد محتك به, إذ يقول بارت: "لقد مات المؤلف بوصفه مؤسسة, واختفى شخصه المدني, والانفعالي, والمكون للسيرة, كما أن ملكيته قد انتهت ولذا فإنه لم يعد في مقدوره أن يمارس على عمله تلك الأبوة الرائعة ". [18]

- يتصل النّص بشيء من اللذة المشاكلة للجنس, إنه واقعية غزلية[19] يقول بارت: "إن لذة النّص هي تلك اللحظة التي يتبع فيها جسدي أفكاره ذلك لأن أفكار جسدي ليست كأفكاري". [20]

وعليه يمكن القول إنه لا يوجد حتى الآن ولا حتى كما يبدو على المدى المنظور نظرية شاملة يمكن تعريفها بنظرية النّص, تنضوي تحتها كل المناهج والمدارس والتيارات الأدبية والنقدية

وتبسط سيطرتها على كامل مساحة النّص أيً كان ذلك النّص، كما أن فوضى التعريفات التي أحاطت بالمصطلح قد أربكت الدارسين, وزادت من تعقيد دراسة مفهوم النّص وتناوله وتحليله.

إن مصطلح النّص ديناميكي متجدد, إذ غالباً ما يعتريه تطور مستمر، وهذا التطور يتبع في الأساس إلى التطور داخل المدارس النقدية , والذي أتاح بدوره أي –التطور- للنقاد حرية تأويل المصطلح أي -مصطلح النّص- مما ولد سلسلة طويلة من التعريفات والتأويلات المؤشكلة والملتبسة والتي تعود في أساس بنائها إلى مرجعيات أدبية ونقدية مختلفة .

نظرية التناص:

- التناص في الثقافة العربية:

يمكن الاعتماد على التراث النقدي والأدبي القديم كمرجعية تاريخية لبحث مفهوم التناص، وعلى الرغم من أن الدرس البلاغي القديم لم يذكر التناص صراحة إلا أنه أرهص للمفهوم, وأطلق عليه مسمياته أو اصطلاحاته الخاصة (السرقات الأدبية, الاحتذاء, التضمين, الاقتباس,...), وبدا النقد

([18]) بارت, لورن , لذة النّص, ص 56 .
([19]) عزام، النص الغائب , ص 17 - 18.
([20]) بارت، لذّة النّص , ص 43 .

الأدبي العربي ناضجاً كفاية عندما تكيفت هذه المصطلحات القديمة مع سنة التغيير والاختلاف، ودخلت في عهد التناص, لأنها صادفت عصراً قرائياً جديداً كان لزاماً عليها الانسجام معه .

ويعد التناص من المفاهيم الحداثية التي عرفها الوسط الأدبي العربي مؤخراً, هذا المفهوم الذي يمثل حراكاً أدبياً قائماً على المثاقفة المفتوحة بين الآداب , وعلى الرغم من إصرار البعض على اعتبار التناص بضاعة مستوردة من الغرب إلا أن الناقد العربي المعاصر قد وجد في هذا الوافد (التناص) موضوعاً سائغاً للدراسة, ومثيراً للاهتمام, فانبرى إلى الخلف يقف على الإرهاصات الأولى لمصطلح (التناص) في الأدب العربي القديم, هذه المحاولات التي أفضت إلى مقاربة بعض القضايا التي عالجها النقد القديم (السرقات، التضمين, الأخذ, ...) بالتناص .

لكن مفهوم التناص الذي عرفه النقد العربي المعاصر لا يقف في المشهد النقدي العربي وحيداً, فثم مصطلحات أو تسميات أخرى :

- التفاعل النّصي .
- البنيات النّصية .
- التعالق النّصي.
- المناص .
- المصاحبات الأدبية.
- التناصية .
- المتناص .
- المتعالقات النّصية .[21]

لكن الدارس العربي وضع بصمته حين اختار صياغاته الخاصة بالإضافة إلى ما ذكر مسبقاً.

ومن بين الدارسين العرب الذين عنوا بالتناص بحثاً ودراسةً ونقداً وكان له صيغه الخاصة الناقد محمد بينيس , الذي يعود الفضل إليه في نقل مصطلح التناص إلى دراسات العربية في كتابه (ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب العربي دراسة بنيوية تكوينية) عام1979, وقد قام بترجمته في حينه (بالنّص الغائب), وهو المرادف لمصطلح التناص, لكنه عاد في سنة 1988 واستعمل مصطلح

([21]) عزام ، النص الغائب , ص31 .

(هجرة النّص) في كتابه (حادثة السؤال), ثم عاد بعدها ليستعمل مصطلح (التداخل النّصي) عام 1989 في كتابه (الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها, الشعر المعاصر), على أن تعريف بينيس للتناص لم يخرج على ما جاءت به الباحثة كريستيفا كل نّص هو امتصاص وتحويل لوفرة من نصوص أخرى), وحتى أن تعريفه للنّص من كلام كريستيفا. [22]

أما عبدالله الغذامي فيطلق على التناص اسم النّصوصية, وهو يرى أن " فعل القراءة ناتج عن فعل النّص إنه ضرب من المعاشرة النّصوصية ".[23]

ويرى الغذامي أن الكتابة في أصلها إعادة إلى تشكيل الأثر القرائي السابق, "فأنا أكتب لأنني نسيت", ومن هنا فإن النّصوص الماثلة أمام القارئ هي نتاج لملايين النّصوص المختزنة في الذاكرة الإنسانية في جانب اللاوعي منها, وكما أن هذه النّصوص نتاج لنصوص أخرى فهي أيضاً مقدمة لنصوص ستأتي بعدها لاحقاً. [24]

واستعمل الغذامي مصطلح (تداخل النّصوص), وهو يرى أن تداخل النّصوص ليست عملية واعية, وهي ليست مجاراة واحتذاء, هي أعمق من ذلك ،هي فعل النّصوص، وليست فعلا بشرياً، بمعنى أن المؤلف ليس في حالة حضور وتقرير إنما الحضور والفعل هو (للنّص وحده) مع نصوص أخرى سابقة عليه. [25] فالنّص" عالم مهول من العلاقات المتشابكة يلتقي فيه الزمن في كل أبعاده حيث يتأسس في رحم الماضي وينبثق في الحاضر ويؤهل نفسه كإمكانية مستقبلية للتداخل مع نصوص آتية ".[26]

أما محمد مفتاح فقد أطلق على التناص اسم (تعالق النّصوص) أي (أن النّصوص تدخل في علاقة مع بعضها البعض), وقد خلص مفتاح إلى هذه التسمية بعد أن وقف على ما حدده باحثون كثر مثل (كريستيفا, وأرفي, ولورانت, ...), غير أنه لم ير في أي تعريف منها تعريفاً جامعاً مانعاً.

([22]) رمضان, إبراهيم, التناص في الثقافية العربية المعاصرة دراسة تأصيلة في ببلغرافيا المصطلح، مجلة الحجاز العالمية المحكمة لدراسات الإسلامية والعربية ، ع5 , 2013 , ص 158.

([23]) الغذامي, عبدالله, تشريح النّص مقاربات تشريحية لنّصوص شعرية معاصرة, المركز الثقافي العربي , الدار البيضاء , ط2 , 2006 , ص113 .

([24]) الغذامي , تشريح النّص، ص115-116 .

([25]) الغذامي , عبدالله , الكتابة ضد الكتابة , دار الأدب , بيروت , ط1, 1991, ص 55 .

([26]) الغذامي ، الخطيئة والتكفير , ص 16 .

وقد استخلص – محمد مفتاح – المقومات الأساسية لهذه التعريفات وهي :

- فسيفساء من نّصوص أخرى أدمجت فيها بتقنيات مختلفة.
- ممتص لها يجعلها عندياته وبتصييرها منسجمة مع فضاء بنائه, ومع مقاصده .

محول لها بتمطيطها أو تكثيفها بقصد مناقضة خصائصها, ودلالاتها, أو بهدف تقييدها .

وقد حدد محمد مفتاح أليات التناص على النحو الآتي:

1- التمطيط : ويحدث بأشكال مختلفة وهي:

أ- الأنا كرام (الجناس بالقلب وبالتصحيف) , الربراكرام (الكلمة المحور) .

ب- الشرح : وهو أساس كل خطاب .

ج - الاستعارة : بأنواعها المختلفة (مرشحة ومجردة ومطلقة) .

د- التكرار : ويكون على مستوى (الكلمات والأصوات والصيغ) .

هـ - الشكل الدرامي .

و - أيقونة الكتابة .

2- الإيجاز : الذي يعتمد عليه التناص كما يعتمد على التمطيط .[27]

أما محمد عزام فقد أطلق على التناص (النّص الغائب) كما سماه أيضا بـ (تناسل النّصوص) وتداخلها , ورأى أن الحياة الشعرية والنقدية ومنذ فترة مبكرة قد عرفت التناص وان بتسميات مختلفة أو مغايرة بتسمية المعاصرة , ويقرر عزام أن هذا الأمر لا يقلل من قيمة التراث العربي والنقدي, بل على العكس يعطيه دفعة جديدة من الحياة عندما يفسر على ضوء مفهومات معاصرة .[28]

ويميل عبد عزيز حمودة إلى تسمية التناص بالبينصية , وهو في ذلك يبدو متأثراً بـ (بلوم) الذي يرى أنه لا يوجد نص بل (بينص) , كما لا يوجد قصائد (بين- قصائد) , ولا يوجد شاعر بل (بين - شاعر) .

([27]) مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري , ص 120-121.

([28]) عزام ، النص الغائب , ص193.

ويقرر (حمودة) أن التناص يقدم بطريقة غير مباشرة , بدلاً معقولاً له وجاهة لفكرة انغلاق النّص ونهائيته التي قام عليه فكر كل النقاد الجدد. [29]

وقد انبرى مصطفى ياسين السعدني لدراسة مبحث السرقات الأدبية بوصفها الوثيقة التاريخية التي تؤرخ للتناص في التراث النقدي الأدبي العربي القديم , ويفرق بين مفهومين لطبيعة التناص :

الأول: الظاهر (السطحي): وهذا النوع عده من السرقة وليس داخلاً في (التناص) لانتفاء سمة الإبداع عنه .

الثاني: التناص الخفي أو (العميق) الذي يتم إنتاجه بفعل مجموعة من القوانين التحويلية التي جاء التعبير عنها عند النقاد القدماء (النقل, القلب, الزيادة ,.....), كما أنه يقدم رؤيته للنّص الشعري إذ يعده ميداناً للاقتتال والصراع إذ تتغير فيه هوية العناصر وذلك بفعل شبكة العلاقات التي تبرز للنّص حيويته في البناء, فبقدر ذوبان الحدود وتفاعل العناصر يتجلى انفتاح النّص على أبعاده اللانهائية من خلالها ويعلن عن"تعاليه النّصي".[30]

وقد أشار أحمد الزعبي إلى نقطتين متعلقتين بهذا الموضوع, الأولى: إن الموضوع أو مفهوم التناص ليس جديداً تماماً في الدراسات النقدية المعاصرة, كما يرى معظم الباحثين في هذا المجال وإنما هو موضوع له جذوره في الدراسات النقدية شرقاً وغرباً بتسميات ومصطلحات أخرى كالاقتباس والتضمين والاستشهاد والقرينة والتشبية والمجاز وما شابه ذلك في النقد العربي القديم .

أما النقطة الثانية في هذا الإطار فإنها تتعلق باستخدام التناص ونماذجه المختلفة أثناء الدراسة التطبيقية في هذا البحث, إذ إن استخدام مصطلحات الاقتباس والتضمين والاستشهاد وغيرها على أنها نماذج من التناص, يستحضرها الكاتب إلى نّصه الأصلي لوظيفة فنية أو فكرية منسجمة مع السياق الروائي, سواء كان هذا التناص نّصاً تاريخياً أم دينياً أم أدبياً هذا ما يدعى بالتناص المباشر, إذ يقتبس النّص بلغته التي ورد فيها, مثل الآيات والأحاديث والأشعار والقصص, أو يقتبسه بمضمونه عن طريق التلميح أو الإشارة أو الرمز وهذا هو التناص غير المباشر, وهذا النوع الأخير حل جانباً كبيراً من مشكلة السرقات الأدبية التي كثر الجدل حولها قديماً وحديثاً, إذ كثيراً ما اصطلح على هذا

([29]) حمودة ، المرايا المحدبة, ص322- 326

([30]) السعدني ، مصطفى، التناص الشعري , قراءة أخرى لقضية السرقات, منشئة دار المعارف بالإسكندرية , ط1, 1991, ص91 , ص97 .